المحاضرة1: مقدمة في تاريخ النظم (التعريف– الخصائص– الأهمية)

أولا: النظم لغة واصطلاحا:

1/تعريف النظم لغة :

النظم لغة من كلمة نظم وفي اللغة تدل على التأليف وضم الشيء إلى شيء آخر، يقال: نظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما؛ ونظمه بمعنى ألفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظم.

والنظم جمع نظام وهي كلمة تطلق على كل شيء يُراعى فيه الترتيب والانسجام والارتباط، وهي تشبه العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها مع بعض.

2/اصطلاحا:

المنهج "هو **مجموعة من المبادئ والتشريعات والأعراف وغيرها من الأمور التي تقوم عليها حياة المجتمع وحياة الدولة وبها تنتظم أمورها**".

وعرف التنظيم بأنه" **الشكل الذي تتخذه الجماعة الإنسانية بغرض تحقيق هدف مشترك بين أفرادها**"، ونظم الدولة هي"**مجموع القوانين والمبادئ والقواعد التي تقوم عليها، ومن هذه النظم: النظام السياسي والنظام الإداري والمالي والنظام القضائي**".

أمّا النظم الإسلامية فتعريفها اصطلاحا بأنها:" **المبادئ والأحكام التي شرعها الله لعباده على لسان رسوله ليستقيم بها أمر النّاس في معاشهم ومعادهم**".

ثانيا: نشأة التنظيم الإداري عند المسلمين:

لقد تأسست النظم الإدارية عند المسلمين على قواعد الشريعة الإسلامية والعدالة والمساواة والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله، وتطورت من التنظيم البسيط في العهد النبوي إلى دواوين متخصصة في عهد الخلفاء الراشدين؛ ثمّ عهد الدولة الأموية والعباسية (كديوان الجند – الخراج– الختم...) مع اعتماد مبدأ الكفاءة والجدارة في التعيين واستخدام المشورة والرقابة(الحسبة) لضمان النزاهة والشفافية، ومن أبرز مظاهر تطور النظم الإدارية الإسلامية ما يلي:

أ/ مرجعية التشريع: تستمد الإدارة أصولها من الكتاب والسنة وتعتمد على مبادئ التكليف والمسؤولية والأمانة.

ب/ التنظيم النبوي والراشدي: حيث تم وضع نظم إدارية صارمة ومضبوطة نتيجة الفتوحات منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد شمل التنظيم مايلي:

–التنظيم الإداري: تقسيم الدولة إلى أقاليم وولايات وتعيين ولاة وعمال فيها.

–دواوين الدولة: وهي هيئات إدارية تحوي سجلات متعلقة بتنظيم شؤون السلطة والحكم مثل: ديوان الخراج– الجند– الضرائب–ديوان الخاتم لتأمين الرسائل وغيرها.

–جهاز الأمن: ويشمل هذا النظام الإداري ثلاث خطط هي: جهاز القضاء والشرطة والحسبة والمظالم.

ج/ مبادئ القيادة والتعيين: من خلال التزام العدالة والمساواة بين الجميع واعتماد مبدأ الجدارة والكفاءة والجدارة والأمانة أي اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، وتجنب الوساطة والتعيين العشوائي؛ أمّا مبدأ القيادة فيتجلى في حسن الإشراف على العاملين تحت خدمة الدولة وتوجيههم وتدريبهم بما يتواءم ومسؤولياتهم ووظائفهم

فالنظم الإدارية عند المسلمين تميزت بالقدرة على التكيف مع المجتمعات المختلفة والجمع بين القيم الأخلاقية والتطبيق العملي، مما أسهم في إدارة مساحات واسعة وشعوب مختلفة.

ثالثا: خصائص التنظيم الإداري في الإسلام

يمكن القول بأنّ الكثير من النظم الإدارية التي عرفها العصر الحديث وطوّرها حتى وصلت إلى ماهي عليه الآن ماهي إلاّ مجرد صياغات وأشكال جديدة لأصول قديمة أسهم في إيجادها الفكر الإداري الإسلامي بشكل واضح، وظهرت على المستوى التطبيقي خاصة في دولة الإسلام الأولى بداية من العهد النبوي إلى عهد الخلافة الراشدة ثم الدولة الأموية فالدولة العباسية، ثم انتقلت تأثيراتها إلى الغرب الإسلامي بعد الفتوحات؛ وهذا التأثير لم يقتصر على المجال الإداري فقط بل مس العديد من مجالات الحياة.

وأمّا عن خصائص التنظيم الإداري الإسلامي فيمكن إجمالها فيما يلي:

1/ **التنظيم الإداري في الإسلام جزء من كل:** بمعنى أنه جزء من النظام الإسلامي الشامل للحياة فالإسلام كل متكامل لا يمكن تجزئته، فالمسلمون يتعاملون مع الإسلام كنظام متكامل لا يقبل التجزئة وبهذا الارتباط الوثيق بين أجزاء النظام الإسلامي تتحقق مقاصده.

2/ **النظام الإداري عند المسلمين إلهي الأصول بشري التطبيق:** أي أنه يعتمد في أصوله وفروعه على أحكام الشريعة الإسلامية الخالدة مرجعها ومصدرها هو الله تعالى سواء في مبادئ وأصول وتطبيقات الأنظمة، وإن كان العنصر البشري هو من يتكفل بالتطبيق فالأساس المرجعي للتشريع هو ما شرعه الله عز وجل.

3/ **التنظيم الإداري الإسلامي مرن:** فهو يقوم على مبادئ عامة تتفرع من النظام الإسلامي الشامل، فيكتسب منه خاصية المرونة والقابلية لها التي يتمتع بها النظام والذي تعكسه شريعة الله، فالتنظيم الإداري الإسلامي هو تنظيم مرن يواكب البشرية في سيرها وتطورها من مرحلة إلى أخرى، كما يستجيب لحاجاتها من زمن لآخر.

4مشروعية المجال: أي بمعنى أنّ المجال الذي يرتاده التنظيم والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها والوسائل التي تُستخدم لذلك يجب أنّ تكون مشروعة، فليس من الإسلام أن يقوم تنظيم إداري لمزاولة نشاط في مجال غير مشروع أو لتحقيق هدف غير مشروع، وذلك يُمثل جزءا من المسؤولية الاجتماعية في الإسلام.

رابعا: أهمية النظم الإدارية عند المسلمين:

-تكمن أهمية النظم الإدارية عند المسلمين في قوتها وهي تشكل منهجا شاملا ينظم حياة الفرد والمجتمع والدولة وفق أحكام الشريعة محققة العدالة والتوازن بين الروح والمادة.

-تهدف هذه النظم إلى حماية الضروريات الخمس(الدين- النفس- العقل- العرض- المال).

-توفر هذه النظم أطر واضحة لتسيير الدولة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا وقضائيا بطريقة متفوقة تضمن لها التطور المستمر وتماسك الأمة والتكافل الاجتماعي مع الحفاظ على القيم والأخلاق لأن نُظمها مستمدة من الشريعة الإسلامية.

-هي قواعد منظومة متكاملة تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مع قابليتها للتطبيق في شؤون المجتمع كونها لا تقف عند آليات جامدة، بل تترك للمجتمع الإبداع في تطبيق تلك النظم وتحقيق أهدافها.